مجلة البحوث والدراسات الافريقية المجلد ٨ العدد ١ يوليو ٢٠٢٤

ودول حوض النيل Website: https://mbddn.journals.ekb.eg/

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني ٤٤٥٠ -٢٦٨٢ E-mail: afr.journal@aswu.edu.eg

© تصدر عن معهد البحوث والدراسات الافريقية ودول حوض النيل – جامعة اسوان – جمهورية مصر العربية

(الضبط الاجتماعي غير الرسمي لدي أهالي قرية تنقار النوبية)

" دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية "

الشاذلي عبد الفتاح محمد محمود[١]

[١] قسم الأنثروبولوجيا، معهد البحوث والدراسات الافريقية ودول حوض النيل، جامعة اسوان

الملخص:

إن الضبط الاجتماعي ببساطة هو يتجسد في تحقيق التواؤم، وذلك باعتبار أن هذا التواؤم إنما يتم عن طريق الخضوع للقواعد والمعايير السائدة في المجتمع، علاوة علي ذلك فإن أهم ما يعني، ويهتم به الباحث الأنثروبولوجي في دراسته للضبط الاجتماعي هو التعرف بالتفصيل علي الوسائل والأساليب التي يلجأ إليها المجتمع لتحقيق المواءمة بين أعضائه وأنماط السلوك والقيم المقررة، والمواقف التي تستخدم فيها كل وسيلة من هذه الوسائل ومدي فاعليتها والدور الذي تلعبه في هذا الصدد.

والضبط الاجتماعي غير الرسمي السائد داخل مجتمع قرية تنقار النوبية، الذين ينتمون إلي الكنوز، والطريق الذي يهتدوا إليه لتحقيق الاستقرار المجتمعي يتمثل في اتباع العرف في كافة القضايا والمشاكل الحياتية التي تواجههم، وهذا العرف يتوارثه الأجيال جيلًا بعد جيل منذ الأزل، ولاسيما في أن قرية تنقار تعد من القري الأزلية الموجودة منذ القدم في نفس موقعها الحالي، ولم تشهد أي أعمال تهجير مثل باقي القري الواقعة جنوب السد العالي.

ونظرًا لأن الجميع أبناء عمومه واحده حيث تربطهم رابطة الدم في اتجاه الأقارب العاصبون، الذين يرتبطون بعضهم ببعض بروابط القرابة عن طريق الذكور فقط، وعلي ذلك فالأب والأبن وأبن الأبن يعتبرون عاصبين بعضهم لبعض، ويعتمد نظام النسب سواء كان أبويًا أو أموميًا علي صلة الدم أي القرابة العاصبة التي تختلف عن القرابة عن طريق المصاهرة أي تلك العلاقات التي تنشأ نتيجة الزواج وهي لا تقل أهمية عن القرابة العاصبة لأنها تبرز كثير من العلاقات مثل علاقة الخال بالأبناء أو أقارب الزوجة بصفة عامة.

Abstract

The absence of social awareness is simply embodied in achieving achievements, based on the belief that this entitlement can only be achieved by submitting to the rules of Eid days in society. Moreover, the most important thing it means, which the anthropological researcher has chosen outside of social control, is a definition tailored to the goals and techniques used. To combine its members, their movement, their established values, the security that contains all this ability, the extent of its effectiveness and the role it plays in this ability.

The informal social control prevailing within the community of the Nubian village of Tinqar, who belong to the treasures, and the path they find to achieve societal stability is to follow custom in all the issues and life problems they face, and this custom has been passed down from generation to generation since time immemorial, especially since the village of Tinqar It is one of the ancient villages that have existed since ancient times in the same current location, and it has not witnessed any acts of displacement like the rest of the villages located south of the High Dam .

Since everyone is the same cousin, they are linked by blood ties in the direction of lineal relatives, who are related to each other through kinship ties through males only. Accordingly, the father, son, and son's son are considered relatives of one another, and the lineage system, whether paternal or maternal, depends on the blood connection, that is, kinship. Agnatic kinship differs from kinship by affinity, that is, those relationships that arise as a result of marriage, and it is no less important than agnatic kinship because it highlights many relationships, such as the maternal uncle's relationship with children or the wife's relatives in general.

المقدمة:

يندرج الضبط الاجتماعي بشقيه الرسمي وغير الرسمي يبرز تحت أحد انساق البناء الاجتماعي المتمثل في النسق القرابي أو النسق الديني. ويعتبر مفهوم **الضبط الاجتماعي** بشكل عام من أكثر المفاهيم تعقيدًا علي اعتبار أنه يتضمن عددًا من العناصر المختلفة التي يجب أن تعمل جنبًا إلي جنب، وإن كان معظم العلماء يكتفون بإبراز بعض هذه العناصر دون البعض الآخر، وتتضمن الفكرة من ناحية أخري فعل التوجيه والإرشاد وخلق التواؤم والمحافظة علي التماسك الاجتماعي، بحيث يمكن القول إن كل ما يساعد علي امتثال الناس لقواعد وأنماط السلوك والمعايير والقيم السائدة في المجتمع يدخل موضوعات الضبط الاجتماعي.

وفي هذا الاتجاه عَرف "**ماكيفر**" الضبط الاجتماعي علي أنه الطريقة التي يتطابق بها النظام الاجتماعي كله ويحفظ هيكله ، ثم كيفية وقوعه بصفة عامة كعامل للموازنة في حالات التغيير، وأن مفهوم الضبط الاجتماعي يجعلنا نحاول تفسيره في بؤرة علم الاجتماع أو في صميم مشكلته الدائمة، وهي العلاقة بين النظام الاجتماعي والفرد أو العلاقة بين الوحدة والمجموع، ولدراسة الضبط الاجتماعي يتحتم معرفة الوسائل التي يشكل بها المجتمع سلوك الفرد وينظمه، وفي نفس الوقت نتعرف علي الطرق التي يتبعها هذا السلوك المعين والعام بالنسبة للأفراد جميعًا للمحافظة علي حفظ النظام الاجتماعي (١) .

يقوم الضبط الاجتماعي في أساسه علي محاولة إقرار النظام في المجتمع، والتواؤم مع النظم والقيم الثقافية والاجتماعية السائدة فيه وتوقيع الجزاءات علي الانحراف عن تلك القواعد العامة لاستقرار المجتمع، ولذا فأن الضبط الاجتماعي ليس مجرد رغبة هوجاء لبعض الأفراد في التسلط والسيطرة علي الأخرين، وانما هو نظام أو نسق هادف، نظرًا لأنه يهدف إلي ايجاد التوافق والتواؤم والتماسك والاستقرار للجماعة (٢).

إذن .... فالضبط الاجتماعي ببساطة هو العملية التي يتحقق بها التواؤم، وذلك باعتبار أن هذا التواؤم إنما يتم عن طريق الخضوع للقواعد والمعايير السائدة في المجتمع، علاوة علي ذلك فإن أهم ما يعني، ويهتم به الباحث الأنثروبولوجي في دراسته للضبط الاجتماعي هو التعرف بالتفصيل علي الوسائل والأساليب التي يلجأ إليها المجتمع لتحقيق المواءمة بين أعضائه وأنماط السلوك والقيم المقررة، والمواقف التي تستخدم فيها كل وسيلة من هذه الوسائل ومدي فاعليتها والدور الذي تلعبه في هذا الصدد.

١- سلوي يوسف درويش. المرأة عند الباجندا بجمهورية أوغندا. مرجع سابق. ١٩٩٣. ص ١٧٩-١٨٠.

* مرجع أخر:

= أحمد أبو زيد. البناء الاجتماعي. الانساق. ط ٧. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الإسكندرية. ١٩٨٠. ص ٤٢٠.

٢- أحمد أبو زيد. البناء الاجتماعي. الانساق. مرجع سابق. ص ٤٢٤.

ونجد أن لكل مجتمع وسائله الخاصة به لتحقيق الضبط الاجتماعي، وهي وسائل تتوقف إلي حد كبير علي طبيعة المجتمع ذاته وظروفه الخاصة ومدي بساطته أو تعقيده ونوع الثقافة السائدة .. وما إلي ذلك.

ولهذا فإن ما يعتبر وسيلة ناجحة من وسائل الضبط الاجتماعي في أحد المجتمعات قد لا يكون كذلك في مجتمع أخر، فالثرثرة والإقبال وإطلاق الشائعات وتناقلها تعتبر وسائل فعالة ومجدية لتقويم سلوك الشخص، وبالتالي تحقيق الوئام والتواؤم في المجتمع القروي، بينما تعتبر كل هذه أمور عادية في مجتمع المدينة الواسع، وبخاصة في المدن الكبرى، لأن العلاقات بين الناس ليست علاقات مباشرة أو شخصية، كما هو الحال في مجتمع القرية (١).

ولذا تعد ظاهرة الضبط الاجتماعي ظاهرة مُلزمة بالنسبة للمجتمع، وذلك لأن الإنسان يحتاج إلي من يضبط سلوكه الاجتماعي بالقوة، ومن هنا يظهر عنصر القسر كأحد أشكال الضبط الاجتماعي، والغرض من الضبط الاجتماعي هو إحداث التواؤم بين أعضاء المجتمع.

١- إيفانز بريتشارد. النسق القرابي لدي قبيلة النوير بالسودان. طبعة لندن. ١٩٤٠. ص ٣٨.

(الإطار النظري والمنهجي للبحث):

تم تناول الإطار النظري ممثلًا في: مشكلة البحث وأهميته، وتساؤلات البحث، وأهدافه، ومفاهيمه، والإطار المنهجي الذي سيعتمد عليه البحث، والمتمثل في المنهج الأنثروبولوجي، بجانب دليل العمل الميداني، وكذلك بعض الأبحاث السابقة، وأساليب جَمع البيانات، ثم تناول مُجتمع البحث الذي يتضمن المجال المكاني والبشري والزمني لدي أهالي قرية تنقار.

أولًا: الإطار المنهجي للبحث:

١- مشكلة البحث

الضبط نظام قديم عرفته البشرية منذ القدم، واتخذ لتحقيقه بعض الأساليب لتنظيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، واستمراره، إذ أن طبيعة النفس الإنسانية تتأثر بالغرائز المختلفة التي تسيطر علي سلوك الإنسان، ولهذا فإن الضبط الاجتماعي غير الرسمي في المجتمعات التقليدية يساعد في جعل الأفراد في المجتمع يمتثلون للقيم والمعايير، حيث يتعلم الأفراد قيمهم ومعاييرهم السلوكية من خلال التفاعل الاجتماعي، فهناك من لا يلتزم بالقيم والمعايير، ولذا يستوجب استخدام الضبط الاجتماعي بكافة أشكاله، ومنها أساليب الضبط غير الرسمي، والتي تشمل: الضبط الداخلي للإنسان، المتمثل في التعاليم الدينية، كما أن المعتقدات غالبًا ما تدعم وتقوي المعايير والقيم السائدة في المجتمع وذلك بإعطائها قدسية معينة. أو تقوي وتدعم قيمًا أساسية مثل احترام البشرية، وتقوير الكبير، ولهذا فإننا في مجتمع قرية تنقار النوبية، تبرز مشكلة البحث، في كيف اتباع أفراد المجتمع لوسائل الضبط غير الرسمي لوضع الحلول للقضايا والمشاكل الحياتية التي تواجههم.

٢- أهمية البحث:

تتمثل أهمية هذا البحث في أنه يسهم في إثراء المكتبة العلمية والبحث الأكاديمي والاجتماعي في مجال الضب الاجتماعي غير الرسمي. كما تكمن أهمية البحث في ما تقدمه نتائجه وتوصياته من معطيات واقعية تدخل في تطوير الحل في المجال التربوي والارشادي . وكذا يمكن استخدام نتائج البحث في محاولة إقناع أفراد الأسرة بالتمسك بالضبط الاجتماعي غير الرسمي.

٣-أهداف البحث:

١- التعرف علي دور وسائل الضبط الاجتماعي غير الرسمي في التعامل مع القضايا والمشاكل الحياتية في مجتمع البحث.

٢- التعرف علي أهم وسائل الضبط الاجتماعي غير الرسمي في المجتمع.

٣- معرفة إمكانية محافظة الضبط الاجتماعي غير الرسمي في تحقيق التوازن والاستقرار داخل المجتمع والسيطرة علي أفراده.

٤-تساؤلات البحث:

١- هل تسهم وسائل الضبط الاجتماعي غير الرسمي في التعامل مع القضايا والمشاكل الحياتية؟

٢- ما هي وسائل الضبط الاجتماعي غير الرسمي؟

٣- هل يساهم الضبط الاجتماعي غير الرسمي في المحافظة علي بقاء المجتمع، وتحقيق التوازن المطلوب به والاستقرار، وآلية السيطرة علي أفراده؟

٥- مفاهيم البحث:

١- **الضبط الاجتماعي:** يشير مصطلح الضبط الاجتماعي إلي الآليات أو العمليات المجتمعية والسياسية التي تنظم سلوك الفرد والجماعة في محاولة للوصول إلي الامتثال ولمطابقته مع قواعد مجتمع معين أو حكومة أو فئة اجتماعية.

٢- **الضبط الاجتماعي غير الرسمي:** هو تدخيل للمعايير الاجتماعية والقيم من خلال عملية تعرف باسم التنشئة الاجتماعية، والتي تعرف بأنها العملية التي من خلالها يبدأ الفرد والمولود بإمكانات سلوكية واسعة بشكل كبير، وفي تطوير السلوك الفعلي الذي يقتصر على أضيق نطاق لما هو مقبول بالنسبة له وفقا لمعايير اجتماعية، المتمثلة في العادات والتقاليد والدين والتربية والرأي العام، وهذه الضوابط تعمل بصورة مباشرة في المجتمع، وتتم من خلال ممارسة الضبط الاجتماعي ضمن المعايير المحددة في العرف والتقاليد والقانون، والتي تعمل بدورها على وجود علاقة منظمة في الحياة الاجتماعية لتحقيق الاستقرار والطمأنينة عند الأفراد.

٣- **تنقار:** اسم القرية ينقسم إلى شقين الأول «تن» وتعنى الغرب، و«قار» وتعنى الشاطئ، أى القرية الواقعة غرب الشاطئ، وكانت تسمى فى الماضى تنقار دول، وكلمة دول تعنى كبيرا أى كثيرة السكان، واصبحت تنقار فقط بعد نزوح الأهالى، نظرا لتقلص عدد سكانها إلى نحو ٢٠٠ نسمة، ويضيف: «عندما تم فتح المفيض فى التسعينيات، جرف معه الرمال الصفراء إلى القرية، وغطت الرمال الطمى الذى كان يعتبر من اجود انواع التربة الصالحة للزراعة.

٦- المنهج المستخدم في البحث:

بداية نجد أن المنهج هو الأسلوب الذي يتبعه الباحث، والإطار الذي يرسمه لبلوغ أهدافه وهو الطريق أو الأسلوب الذي ينتهجه العالم في بحثه أو دراسته لمشكلة ما، ونظرًا لأهمية المنهج ظهر علم مستقل لدراسة المناهج Methodology وهو عبارة عن الدراسة المنهجية والمنظمة التي توضح أو تحدد المناهج للوصول إلي الحقائق.

يتأثر المنهج الأنثروبولوجي وطرق البحث وأساليبه وأدواته إلي حدٍ كبير بطبيعته وموضوع الدراسة ومجتمع الدراسة، فيري " أحمد أبو زيد " في دراسته عن طرق البحث في المجتمعات الصحراوية أن الميول الخاصة للباحث والإعداد العلمي الخاص به، وموقفه النظري العام وخبرته وتجربته السابقة، تجعله يفضل استخدام بعض الطرق والأساليب والأدوات علي غيرها بصرف النظر عن موضوع الدراسة "(١).

المنهج الأنثروبولوجي، وهذا المنهج الشمولي التكاملي القائم علي الدراسة الميدانية التي تستلزم ملاحظة مجتمع الدراسة عن قرب لمعرفة شكل البناء الاجتماعي من خلال الاعتماد علي مجموعة مختارة من الإخباريين لآخذ معلومات واضحة عن مجتمع الدراسة. والبحث الأنثروبولوجي يتطلب من الباحث المرونة في مجتمع الدراسة. وأن يكون مدربًا تدريبًا علي إجراء مثل هذه البحوث، ويجب علي الباحث اختيار الوقت المناسب لإجراء عملية المقابلة، وأيضًا تقوية العلاقات مع مجتمع الدراسة لإتاحة الفرصة له بإجراء الملاحظات سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة.

الأدوات المستخدمة في الدراسة: -

استخدم الباحث ثلاثة أساليب لجمع البيانات لدي مجتمعي غرب سهيل ومروي:

أ- الملاحظة:

تعتمد العلوم الإنسانية والأنثروبولوجيا الاجتماعية علي التجربة والتساؤلات المختلفة، ومهمة الباحث في العلوم الإنسانية عامة هو اختيار التساؤلات في ضوء الملاحظات التي يقوم بها. ويعتمد نجاح الباحث الحقلي كما تتوقف مدي دقته علي وصف تلك الأحداث أو الأنشطة اليومية التي يتعرض لها أو في تسجيل كل المعلومات الاثنوجرافية وقدرته علي الملاحظة المتأنية وتحليل مواقف التفاعل الاجتماعي إلي عناصرها الأساسية، كما لا تخدم الملاحظة الساذجة الباحث الميداني، ولكن يجب أن تكون كل المشاهدات متأنية شمولية لفهم الظواهر الاجتماعية علي حقيقتها ولاسيما وإن كان باحثًا وظيفيًا (٢). وتعد الملاحظة من أقدم الطرق المستخدمة في جمع البيانات، وتعتبر الملاحظة خطوة مهمة جدًا في البحوث العلمية، لذلك ينبغي أن لا يخلو أي بحث من الملاحظة، ولذلك لابد للباحث أن يقوم بدور ما في المجتمع بحيث يترتب عليه أن يقبله أفراد المجتمع وكأنه أحد منهم. كما يجب عليه أيضًا أن يتعلم لغتهم ويستخدم نفس التصورات والمفاهيم السائدة عندهم، ويشعر بالقيم التي يعتنقونها، ويعمل معهم ويشاركهم طعامهم واحتفالاتهم وحتي ارتداء ملابسهم، كما يمكن له كذلك أن يدخل كعضو في جماعاتهم إذا سمحت النظم الاجتماعية، وهذا من أجل كسب ثقتهم، ويبدد الشكوك حول مهمته (٣).

١-علي ليلة. ١٩٨٢. البنائية الوظيفية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا. المفاهيم والقضايا. الهيئة العامة للكتاب. الإسكندرية. ص ١٦٠.

2-Russel Bernard. 2006. Research methods in Anthropology. New York. P 16.

٢- أحمد أبو زيد. ١٩٨٣. طرق البحث في المجتمعات البدوية. ندوة البداوة في الوطن العربي. الجزائر. ص ٣٦.

ومن أجل التسجيل الحسن للملاحظات لابد علي الباحث الاثنوغرافي أن يقوم طوال فترات الدراسة بكتابة تقارير يومية (Filed nots) عن كل صغيرة وكبيرة تقابله أثناء دراسته. وعندما يأخذ فكرة عن أسلوب المعيشة في المجتمع يبدأ في التحليل والكشف عن عناصر البناء الاجتماعي من تصرفات وعادات وردود أفعال وغيرها (١).

– وتم استخدام هذه الأداة المنهجية المتمثلة في الملاحظة عند رصد طبيعة مجتمعي الدراسة، والتعرف علي أفراده، كما أنها ساهمت في خلق روح من التفاعل والقبول بين الباحث وبين أفراد هذه المجتمعات، وهذا ساهم في تسهيل مهمة الباحث في انجاز البحث، والوصول إلي أهدافه المرجوة علي الوجه الأكمل (٢) .

ب– الإخباريون :–

الطريقة الثانية التي يعتمد عليها الباحث في العمل الميداني تتمثل في اللجوء إلي الاستعانة بالإخباريين من كبار السن العارفين بالعادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع، بالإضافة إلي أسلوب الاستعانة بالإخباريين الذي يعد أسلوب مكمل للملاحظة. فعن طريق الإخباري يمكن للباحث الميداني إدراك وفهم بعض الأمور أو القضايا التي يصعب عليه استيعابها أثناء الملاحظة، ويتم اختياره متمتعا بالخلق الطيب ومتميزًا بحب واحترام المجتمع. كما يتم اختيار الإخباريين من كبار السن لمعرفة تسلسل بعض الأحداث الزمنية ممن يملكون مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة بين أعضاء المجتمع، ولهم سلطة مؤثرة علي كافة أعضاء الجماعة. وسوف يتم ذكر الإخباريين في الملاحق بمزيد من التفصيل. فلا يمكن لأي باحث أن يستغني عن الاستعانة بالإخباريين سواء كان مجتمع الدراسة بدائيًا أم حديثًا، فالزعيم القبلي يقدم لنا تفسيرات عن السياسة، فيما يستطيع الطبيب أن يخبرنا عن الطقوس الدينية والسحرية (٣). وهكذا يلجأ الباحث في العلوم الاجتماعية و الأنثروبولوجية في جمع المعلومات إلي طريقة الإخباريين، وهي طريقة قديمة تمتد في التاريخ إلي " بن سينا"، كما يلجأ الباحث الاجتماعي والأنثروبولوجي في جمع معلوماته من العارفين والعالمين بشأن القبائل والبدو من جوانب عدة كالثقافة والمهن والحرف والتقاليد (٤).

– أما عن كيفية استخدام الباحث لهذه الأداة المنهجية المتمثلة في الإخباريين، فقد ساهمت بشكل مباشر في تقديم مجتمعي الدراسة للباحث، وتعريفه بمختلف ظواهره ومكوناته، حيث أن الاستعانة ببعض المرشدين أو بعض الاخباريين قدم شكل تفصيلي عن المجتمع، والتعريف بالأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها، وهو ما أفاد الباحث فائدة كبيرة في إجراء بحثه والإلمام بعناصر البناء الاجتماعي لمجتمع بحثه.

١– أحمد أبو زيد. ١٩٩١. انساق العائلة والقرابة. المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية. القاهرة. ص ,٣٣

٢– ليليا شاوي. ٢٠١٥. أنماط تلقي جهور المستمعين لبرامج الهوية الثقافية. دراسة اثنوغرافية لعينة من الأسر الجزائرية. أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال. جامعة الجزائر. ص ,٣٤

٣– آمال عساسي. ٢٠١٥. اثنوغرافيا مستخدمي الفيس بوك في المجتمع الجزائري – دراسة اثنوغرافية لعينة من مشتركي المجموعات الامازيغية بالفيس بوك. مذكرة ماجستير. علوم الاعلام والاتصال. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة باتنة. ص ٤٦.

4– Ellen. R.F(ed). 1984 . Ethnographic research– aguide to general conuch. Academic press (Harcourt Brace Jovanvich Publishes) London. M. PP. 323–324.

ج- المقابلة:-

تكمن أهمية المقابلة في المجتمعات التي تكون فيها درجة الأمية مرتفعة، إذ أنها تجمع بين الباحث والمبحوث في موقف مواجهة، وتضمن المقابلة الحصول علي معلومات من المبحوث دون أن يتأثر بآراء غيره من الناس، وبذلك تكون الآراء التي يدلي بها أكثر تعبيرًا عن رأيه، كما أن هناك أنواعًا عديدة من المقابلات منها الفردية والجماعية والمقننة (١). ولذا فالمقابلة هي حوار لفظي وجهاً لوجه بين باحث قائم بالمقابلة وبين شخص أو مجموعة أشخاص بهدف الحصول علي المعلومات التي تعبر عن الآراء أو الاتجاهات. كما يستخدم الباحث الأنثروبولوجي طريقة المقابلة إلي جانب طريقة الملاحظة بالمشاركة بهدف التعمق في معرفة أفراد المجتمع (٢).

- استخدم الباحث هذه الأداة المنهجية المتمثلة في المقابلة بشكل جوهري، فما ترتكز عليه هذه الأداة من الحوار اللفظي الذي يتم وجها لوجه بين الباحث القائم بالمقابلة وبين شخص آخر أو مجموعة أشخاص أخرين، ساهم كذلك في التعرف علي طبيعة مجتمعي الدراسة، والوقوف ميدانيًا علي الكثير من العادات والتقاليد والطقوس التي يتميز بها أفراد المجتمعات المدروسة.

٧- الإطار النظري للبحث (النظريات العلمية المفسرة للبحث والدراسات السابقة)

= نظرية الفعل الاجتماعي عند تالكوت بارسونز:

ترتكز هذه النظرية علي وجهة نظر العالم تالكوت بارسونز في الفعل الاجتماعي الذي يرى أن الفعل الذي يقوم به الفاعل يكون محكومًا بعدة عوامل منها أفكاره ومشاعره وانطباعاته ومعاييره وقيمه وعادته ويمتد تأثيرها كذلك علي أفعال الذين يشتركون معه في الفعل.

يؤكد بارسونز في دراساته أنه لا يمكن الفصل بين المجتمع والثقافة والشخصية إلا لغرض التحليل، فالضبط الاجتماعي وسيلة اجتماعية وثقافية تفرض عن طريقها قيود علي السلوك الفردي حتى يتحقق حق المسايرة للتقاليد ونمط السلوك السائد في المجتمع، وطالما كانت هذه العملية تعتمد على موافقة الفرد أو تأييده لمستويات السلوك التي حددتها معايير وتوقعات الدور الذى حددته له المؤسسات الاجتماعية، فإن التنشئة والقيم توفر المصدر اللازم لضبط الاجتماعي الذي يعتمد على دافعية الفرد الإيجابية نحو الامتثال والمسايرة لما هو سائد، وبالتالي فإن هدف الضبط الاجتماعي غير الرسمي ينصب علي الحفاظ علي النظام واستقراره من خلال القيم الاجتماعية لذا، نجد بارسونز يؤكد علي فكرة التوافق التي تتم عن طريق الخضوع للقواعد والمعايير السائدة في المجتمع.

إن الضبط الاجتماعي من منظور بارسونز يركز علي القيم والأعراف والتقاليد في كل مجتمع وعلي مكونات النسق الاجتماعي التي تدعم التوازن والامتثال وتدفع الانحراف والفوضي ولأجل ذلك وضع (بارسونز) نمطين من الميكانزمات لتدعيم نسق التفاعل الثابت:

١- هاني أحمد كامل الشريف. ٢٠١٢. الطب الشعبي عند قبيلتي العبابدة والبشارية. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة القاهرة. ص ١٠.

= واقرأ أيضًا : الشاذلي عبد الفتاح. ٢٠٢١. النسق القرابي لدي قبيلة الأشراف في مصر والسودان. رسالة ماجستير غير منشورة. معهد البحوث والدراسات الإفريقية. جامعة أسوان. ص ١٤,

٢- إيمان البسطويسي. ٢٠٠٨. المرأة فى المجتمعات الصحراوية. المرأة فى قبيلة الجبالية. القاهرة. وزارة الثقافة. ص ١٤٣,

النمط الأول: هو (التنشئة الاجتماعية) التي تعد ميكانزم تكون الدافعية نحو تحقيق (توقعات الدور) أما النمط الثاني فهو (الضبط الاجتماعي) وهو الميكانزم الذي يعمل على تدعيم الدافعية نحو تحقيق توقعات الدور.

يرى بارسونز أن الأفراد بوصفهم أعضاء في النسق الاجتماعي تتم تنشئتهم اجتماعيًا عن طريق النظام التربوي الذي يعدهم لممارسة أدوارهم المتوقعة منهم في مجتمعهم مستمعلاً مجموعة من الجزاءات الإيجابية والسلبية لتحقيق ذلك. وأوضح بارسونز أن العلاقة بين الشخصية والبناء الاجتماعي ودور التنشئة الاجتماعية في تحقيق التوازن في المجتمع من خلال ما سماه (ميكانيزمات التنشئة الاجتماعية) أما ميكانيزمات الضبط الاجتماعي فهي التي تستعمل لوضع بعض الضغوط أو القيود علي بعض الاعضاء الذين يظهرون بعض الاستعدادات والميول للانحراف، كما تستعمل لتنظيم تفاعل الأعضاء وضبط سلوكهم داخل النظام الاجتماعي وأداء تركيز بارسونز علي النظام الاجتماعي وحالة التوازن إلى افتراض ضرورة التكامل البنائي الوظيفي بين مكونات النسق، ولهذا يفترض ضرورة بناء قاعدة ثقافية مشتركة ليس فقط على أساس رمزي معياري عام ومشترك وإنما إطار مشترك في بناء أنماط شخصية متماثلة ومثقفة في توجهاتها مع ثقافة الجماعة وتوفقاتها لضمان علاقة تكاملية بين المستوى الفردي والجماعي. ولهذا ركز بارسونز كبقية الوظيفين علي أهمية التنشئة ومؤسساتها من ناحية وعوامل الضبط من ناحية أخرى.

= نظرية أميل دور كايم فى الضبط الاجتماعي:

يوصف جوهر منهج «دوركايم» بأنه نزعة سوسيولوجية واقعية بمعني أنه قد منح الجماعة واقعًا اجتماعيًا مطلقًا بدلًا من الفرد، ويقرر دور كايم بأن الظواهر الاجتماعية لا يمكن إرجاعها إلى ظواهر فردية.

ويمكن استخلاص نظرية دور كايم في الضبط الاجتماعي من خلال نظريته اللامعيارية " أي بلا "معايير" وقد استنتج "دور كايم" أن معدلات الانتحار ترتبط نسبيًا بالخصائص المتغيرة بحالة المجتمع نفسه، أي إن معدلات الانتحار ترتبط بدرجة التكامل الاجتماعي في المجتمع ومدى تأثير السلطة الأخلاقية للمجتمع على الأفراد.

ولقد ذهب «دو كايم « إلي أن المجتمع سوف يكون فيه دائما عددًا، وهذا الانحراف هو في الواقع ظاهرة عادية، بل أكثر من ذلك فإن الانحراف يساعد على الحفاظ واستمرارية النظام الاجتماعي، لأن هناك حدودًا أخلاقية غامضة تحددها الأفعال المسموح بها، وتلك غير المسموح بها، هذه الحدود تحدد الدرجات المختلفة غير المسموح بها لمختلف الأفعال، التي تتراوح ما بين عدم السرور أو الاستياء إلي العقوبات القانونية والسجن، وعندما تكون خطوط الحدود الواقعية غير واضحة فإن رد الفعل يساعد الناس على التصرف الاجتماعي إزاء شخص ارتكب سلوكًا بما لا يجب أن منحرفًا يمارسوه من سلوك، وهكذا فإن «دوركايم» يذهب إلى أن السلوك يتم التحكم فيه وضبطه من خلال رد الفعل الاجتماعي.

*** ونلقي الضوء علي:**

أولًا: وسائل الضبط الاجتماعي الغير رسمي بمجتمع قرية تنقار:

لقد أكد العديد من الإخباريين والإخباريات أثناء المقابلات التي تم تنفيذها ميدانيًا معهم داخل مجتمع قرية تنقار النوبية، الذين ينتمون إلي الكنوز، وأن الضبط الاجتماعي الغير رسمي السائد في هذا المجتمع، والطريق الذي يهتدوا إليه لتحقيق الاستقرار المجتمعي يتمثل في اتباع العرف في كافة القضايا والمشاكل الحياتية التي تواجههم، وهذا العرف يتوارثه الأجيال جيلًا بعد جيل منذ الأزل، ولاسيما في أن قرية تنقار تعد من القري الأزلية الموجودة منذ القدم في نفس موقعها الحالي، ولم تشهد أي أعمال تهجير مثل باقي القري الواقعة جنوب السد العالي، فتنقار تقع شمالًا، والقبائل داخل القرية مستمرة علي نفس مسمياتها القديمة، وهي تتمثل في ٣ قبائل (الإدرساب والجودلاب والإقنداراب). ونظرًا لأن الجميع أبناء عمومه واحده حيث تربطهم رابطة الدم في إتجاه الأقارب العاصبون، الذين يرتبطون بعضهم ببعض بروابط القرابة عن طريق الذكور فقط، وعلي ذلك فالأب والأبن وأبن الأبن يعتبرون عاصبين بعضهم لبعض، ويعتمد نظام النسب سواء كان أبويًا أو أموميًا علي صلة الدم أي القرابة العاصبة التي تختلف عن القرابة عن طريق المصاهرة أي تلك العلاقات التي تنشأ نتيجة الزواج وهي لا تقل أهمية عن القرابة العاصبة لأنها تبرز كثير من العلاقات مثل علاقة الخال بالأبناء أو أقارب الزوجة بصفة عامة (١).

وتقوم الحياة الاجتماعية لسكان قرية تنقار علي رابطة الدم، ويتماسك الأهالي علي هيئة قبائل وعائلات، ويمثل الشيخ رأس الهرم الاجتماعي للقبيلة داخل القرية حيث يعاونه الكبار والوجهاء بها هذا من الناحية التاريخية. فيما ينحصر النظام القبلي في مجتمع تنقار في القبيلة – العائلات، ويلاحظ أن جميع هؤلاء في الأصل أبناء رجل واحد. وبناءًا علي ما سبق فإن رابطة القرابة الدموية تعتبر هي أساس العصبية القبلية داخل هذا المجتمع (٢).

هذا ويعد القانون سواء كان وضعيًا أو عرفيًا يعد من أهم انساق الضبط الاجتماعي، بالإضافة إلي نسق المعتقدات سواء كانت معتقدات دينية أو سحرية، فكلها جميعًا تلعب دورًا علي درجة عالية من الأهمية لتحقيق الضبط الاجتماعي، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن أي مجتمع له مجموعة من قواعد السلوك الإنساني تدرك من حيث كونها ملزمة لأفراد المجتمع. أي أن هناك اعترافًا أو إدراكًا اجتماعيًا لمجموعة القواعد العُرفية السائدة في المجتمع (وسائل الضبط غير الرسمية)، وأن هناك جزاءات تستخدم لمواجهة الخروج علي المعايير والأعراف السائدة في المجتمع.

١- إيفانز بريتشارد. النسق القرابي لدي قبيلة النوير بالسودان. طبعة لندن. ١٩٤٠. ص ٣٨.

٢- محمد أحمد غنيم. العادات والتقاليد في دلتا مصر. دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. ٢٠٠٥. ص ٤٨.

وتعتبر كلها من وسائل الضبط الاجتماعي، وتتمثل في قوة القانون، وكذلك قواعد وأنماط سلوكية تجبر أعضاء المجتمع علي الالتزام بالأنماط السلوكية السائدة في المجتمع، بل إنها تعتبر أمرًا اجتماعيًا، وتعتبر من الوظائف الأساسية في المجتمع (١).

ونجد بأنه في مثل هذه المُجتمعات تقوم المرأة بتلقين أطفالها بالعديد من المعايير المثالية من خلال الخبرات المباشرة، وتحرص علي ذلك نتيجة التعامل اليومي بين الأم والطفل، ومن خلال السلوك الاجتماعي لما هو كائن بالفعل، علاوة علي تعامل الأم مع غيرها من أعضاء المجتمع حيث يأخذ هذا الطفل السلوك، ولاسيما أن الطفل في المراحل العمرية الأولي يعتبر أكثر التصاقًا بالأم. بل وأكثر من ذلك تعتبر إحدي الوظائف الهامة عند أبناء هذه المُجتمعات هي تلقين الأطفال بمختلف الخبرات سواء داخل الأسرة أو خارجها، وكذلك الخبرات الاقتصادية، ويكون ذلك عن طريق الأم في الغالب، كما تؤكد المرأة دائمًا من خلال أطفالها ضرورة التطابق في السلوك، وتتم عملية غرس الأفكار والمعتقدات من خلال تكرار أساليب التفكير وأنماط المعتقدات والإشارة إليها. ويأتي دور القوانين العرفية، والجلسات العرفية في صعيد مصر، ومنها مجتمع قرية تنقار، لتحتل مركزًا محوريًا في صميم هوية الشعوب الأصلية والمُجتمعات المحلية، إذ تعرف حقوق أعضائها والتزاماتهم ومسئولياتهم المرتبطة بأبعاد هامة من حياتهم وثقافتهم ورؤيتهم للعالم.

وقد يتناول القانون العرفي استخدام الموارد الطبيعية والنفاذ إليها، بجانب الحقوق والالتزامات المرتبطة بالأرض والميراث والملكية وممارسة الحياة الروحية وصون التراث الثقافي والأنظمة المعرفية وغيرها من القضايا الأخري، وقد يكون الحفاظ علي القوانين العرفية عاملًا حاسمًا في استمرارية زخم الحياة الفكرية والثقافية والروحية وتراث الشعوب الأصلية والمُجتمعات المحلية التي طالما نادت بسبل متنوعة منها احترام القوانين العرفية والإقرار بها، وقد تتجاوز نطاق هذه المجتمعات ذاتها ومنها علي سبيل المثال المطالبة بالأرض والموارد الطبيعية (٢). ونجد أن القواعد الواجبة التطبيق علي النزاعات في مجتمع قرية تنقار – علي سبيل المثال – هي القواعد العُرفية غير المكتوبة والتي يرتضيها المُجتمع، ويسمونها "بالعوايد" أو "علم الكبار" حيث يرجعون فيها إلي الشخصيات البارزة من كبار السن وكبار القامة، وهذه القواعد يحفظونها بعقولهم ويعرفون أوامرها ونواهيها عن ظهر قلب ويتناقلها الأبناء عن الأجداد، وبذلك يمكن تعريف القضاء أو القوانين العرفية بهذه المُجتمعات بأنها:

" مجموعة من الأعراف القضائية المُلزمة غير المكتوبة، والمرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالقيم العليا والعادات والتقاليد، ووظيفتها حفظ التوازن بين أبناء القبيلة الواحدة، وأيضًا بينها وبين باقي أفراد المجتمع من القبائل والعشائر الأخري من أجل تهيئة أجواء الأمن والأمان والاستقرار للمجتمع بشكل عام " (٣).

١- محمد أحمد غنيم. الضبط الاجتماع والقانون العرفي. دراسة في الانثروبولوجيا الاجتماعية. دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. ٢٠٠٩. ص ١٢٥.

*** والمزيد من الاطلاع أنظر أيضاً: أحمد أبو زيد. البناء الاجتماعي. الانساق. مرجع سابق. ص ٤٣١ – ٤٤١.**

٢- ثروت محمد شلبي. المرأة الإفريقية. دراسة أنثروبولوجية اجتماعية مقارنة للمرأة في الطواريق. الزولو. جامعة القاهرة. معهد البحوث والدراسات الإفريقية. قسم الأنثروبولوجيا. ١٩٧٩. ص ,٦٨

٣- الموسوعة الإفريقية. المجلد الرابع. الأنثروبولوجيا. الجزء الثاني. العلاقات القرابية في أفريقيا. مايو ١٩٩٧. ص ,١٦٩

وهذا التعريف يؤكد علي أن العُرف بهذه المُجتمعات المستند إلي القيم هو الذي يقرر أنواع المشاكل المُختلفة، وهو الذي يحدد صاحب الصلاحية للبت في القضية، وهو الذي يحدد الإجراءات الشكلية الواجبة الإتباع. ونجد أن قواعد القوانين العُرفية لم تنشأ كلها دفعة واحدة، بل هي تراكمات تجارب عملية للأحداث اليومية المتشابهة وأحكامها، وكلما حدثت حادثة أو مشكلة، نظر أهل العقل والحكمة بهذه المُجتمعات إلي البحث عن حلول سريعة لها من خلال أعرافهم السائدة، فإن لم يجدوا لها حلًا اجتهدوا برأيهم، فإن أصابوا العدل في حكمهم أصبح هذا الحكم قاعدة يطبقونها علي الحوادث والمشاكل المماثلة، وهكذا حتي تنتظم الاركان، ويتم بذلك الاعتماد علي القوانين العُرفية، وقواعد هذه القوانين منها الثوابت، ومنها ما يشهد تطورًا بتطور الحياة، فإذا كانت حياتهم تتطور ببطء فإن ذلك يستتبع تطور قواعدهم العُرفية تطورًا تدريجيًا بحسب ما يستجد في معاملاتهم وحياتهم. كما نجد أنه وفقًا للقوانين العُرفية السائدة في مثل هذه المُجتمعات القبيلة، فإنها أعطت للمرأة الحماية وحفظ كرامتها وصونها، وهو ما يتفق مع الشريعة الإسلامية، فإذا حدث اختلاف فلا يتم اللجوء إلي المحاكم والقضاء الرسمي، بل يتم الارتكان إلي القوانين العُرفية وذلك من خلال الاعتماد علي كبار العائلتين **الوجهاء** * -**علي سبيل المثال**- عائلة الزوج وعائلة الزوجة، ويتم تقريب وجهات النظر، وإذا احتدم الخلاف يتم المفارقة بالمعروف، وذلك تطبيقًا لقوله تعالي: "**وفارقهن بالمعروف**" حيث لا يتم التعدي علي المرأة بل تحفظ حقوقها بشكل كامل. وإذا اشتكت المرأة من قصور لدي زوجها في شأن الطعام أو الشراب أو الكساء، فتذهب للشكوى إلي كبير العائلة، وإذا لم تحل تذهب لمن يمثل القامة والقيمة من كبار القبيلة ليأخذ لها حقها، حيث أن كلمته مسموعة وذلك وفقًا للقوانين العُرفية المتبعة، وتعد كلمته مُلزمة حيث يطلب من الزوج بالوفاء بالأشياء الناقصة أو يلزمه أن يبنى لها بيتًا مستقلًا مُجهزًا بأدوات البيت اللازمة، وفي الماضي كانت الرحي أو الرحا (الأداة التي يطحن بها) والصاج والدقيق والماء والأغطية وذلك حسب احتياجات الحياة في تلك الظروف.

أما الآن فقد أصبح الأمر أكثر تطورًا، فقد اختلف شكل البيت، وبالتالي اختلف أثاثه وأصبح أكثر نفعًا للمرأة وأسهل وأقل وقتًا لخدمتها، فنجد كثيرًا من المظاهر العصرية للبيت العصري، وأبعد من ذلك، ومن حق الزوجة أن تشتكي من أوجه القصور، فإن تغيب الزوج تذهب إلي كبير القبيلة لتحقيق الترضية بين الطرفين وتقريب وجهات النظر. وإذا ضرب الرجل زوجته خارج المنزل، أو إذا سبها أو شتمها فإنه يُغرم ويُجرم أو يُثبت بالبراهين والأدلة خروجها علي الواجب، ونجد أن العُرف المُتبع في ذلك بأنه إذا خرجت المرأة من بيتها **(بيت الزوجة)**. غاضبة بعد أن أساء إليها زوجها في معاملتها، فعليه أن يلحق بها ويرضيها، وبعض الرجال يقوم بإرسال وسطاء من المقربين وأهل الثقة لديه يخوله صلاحية إرضاء زوجته بشروط شفهية لإزالة أسباب شكواها " **ويرجع المياه لمجاريها ... كما يقولون في أمثالهم** ".

*** الوجهاء: هم رجال من الكبراء في القبيلة أو القرية التابع لها اللاجئ إليه.**

وحفاظاً علي الحياء العام، فلا يجوز للرجل أن يتحدث إلي المرأة أن اعرضت عنه، إلا للسؤال عن مكان ما أو شيء ضروري، أما الزوج الذي يتهم زوجته بأي اتهامات دون دليل، فأن أهل المرأة كانوا قديمًا يقومون بتقديمه إلي القضاء العرفي وهو ليس من أهل القبيلة علي وجه العموم تنشأ الفتيات ويتم تربيتهن في مجتمع قرية تنقار علي صيانة العرض وحشمة المظهر ووقار الحديث، فالمرأة تحافظ علي سمعة عائلتها وقبيلتها، ومُستحيل علي الاطلاق التفريط في العرض والشرف، حيث أن العادات والتقاليد المتوارثة تلزمها بذلك، كما يتم تربية الفتيات علي الخُلق الرفيع والتأكيد لها علي عدم التفريط في شرفها بمقولة "**شرف البنت ذي عود الكبريت لا يتم توليعه أو إشعاله إلا مرة واحدة**" وأن ذلك يُعد عارًا أبديًا يُلحق بالفتاة وأهلها.

وإذا اختلف الزوج مع زوجته وتبادلا الاتهامات فهو يقول إنه يلبي طلباتها من مأكل ومشرب، ولم يُقصر في شيء، بينما هي تقصر في واجباتها والتزاماتها، ولا تهتم ببيتها وهي تدعي أنها يحرمها ويضربها بلا سبب. فيتم الاستعانة في حسم ذلك الأمر بالاحتدام واللجوء إلي شهود عدل من جيران الأسرة ليشهد بما يري ويعرف المُقصر، كما نجد أن كبير القرية أو القبيلة صاحب الحكم والبت في المُشكلة ووفقًا لما هو مُتبع في القوانين العرفية للقبيلة يقوم بإيفاد بعض الأمناء لسؤال الجيران مع تفقد أمتعة البيت، وبناءً علي ذلك وبعد التقصي والتحري يصدر حكمه لردع المُقصر وإلا حكم بالطلاق والانفصال بينهما لمنع أي خلاف مرة أخري.

وكان أهالي قرية تنقار، ومازالوا يعتمدون في حسم بعض الخلافات فيما بينهم للتأكيد علي مصداقية قصف أحد الأشخاص لشخص أخر بتهمة ما علي حلف اليمين للتبرئة من التهمة الموجهة إليه، هذا فيما نجد أنه يعتبر أسلوب "الجيرة، والقرابة، والمصاهرة، والمصالح المشتركة" من أهم الأساليب الخاصة بالقوانين العُرفية بهذه المُجتمعات إذ تهدف إلي إزالة حدة التوتر بين سكان القبيلة داخل المجتمع، ويتم حل الخلافات والمنازعات الفردية والجماعية، كما أنها تهدف إلي إعادة توازن المجتمع عن طريق إرغام الخصم القوي علي اتباع الأعراف والتقاليد. كما يفعل الخصم الضعيف سواء بسواء، لتحقيق العدالة بين أفراد القبيلة، ففكرة القرابة والجيرة والمصاهرة والمصالح المشتركة ترتبط في رأينا ارتباطًا وثيقًا بعنصري العدالة والمساواة في مجتمع تنقار.

ومن منطلق ذلك فإن الأصل في القوانين العُرفية، وأيضًا القضاء الرسمي بأن التصرفات القانونية التي يُعتد بها سواء كانت مدنية أو جنائية هي التصرفات الصادرة عن الشخص الذكر البالغ العاقل، أما الأطفال والنساء فإن تصرفاتهم في الإجراءات الجنائية باطلة، ولا يعتد بها ولا يجوز الاحتجاج بها أمام الجهة الحاكمة.

وبتحليل ما سبق نجد أنه من أساليب الضبط غير الرسمية النظام العرفي السائد والمُتبع عند أبناء مثل هذه المُجتمعات من قرية تنقار ، وهو الذي يحدد أدوارًا محددة لكل من المرأة والرجل متمثلة في الأدوار المُخولة لكل منهما والتي تضمن بقاء المُجتمع مستقرًا، حيث فرضت الأعراف عدة قوانين ومنها:

* يكون علي الأب توفير المنزل الملائم لتربية الأطفال والحماية اللازمة، وإذا أخل الأب بواجباته يكون موضعًا للسخرية والتهكم والاستنكار من جانب العائلة، ويكون شخصًا غير مرغوب فيه لدي النساء.

* كما حدد القانون العرفي العلاقة بين الأطفال داخل العائلة في حالة وجود تعدد للزوجات، وأوضح الحقوق والواجبات الخاصة بتقسيم العمل داخل العائلة، ومُعاقبة من يخرج عن هذه الواجبات بالنفور من جانب الأم والأب على السواء.

* يُعتبر تمرد الأبناء علي والديهما، وخاصة الأم سلوكًا شاذًا مرفوضًا من العائلة والأهل، وقد يقابل هذا السلوك بالطرد والنفور والتجاهل من جميع عائلته.

* تلام الأم علي سوء سلوكها أخلاقيًا فهي بسلوكها هذا تجني علي أبنتها، وتقيم الفتاة بهذه المُجتمعات أخلاقيًا بتقييم سلوك أمها، فإذا حدث هذا فتقوم كل نساء جيرانها بتجنبها هي وبناتها، وعدم ترشيح أحداهن بالزواج من أولادهن، وبذلك تكون هي السبب الرئيسي في عنوسة بناتها.

* يُلام الفتي أو الفتاة علي الارتباط من خارج القرية، فالزواج المفضل لدي أبناء هذه المُجتمعات هو زواج الأقارب (أي من أبناء العُمومة تليه أبناء الخؤولة)، وهذا كان من الثوابت في الماضي، أما الآن فأصبح هناك زواج للشباب والفتيات من خارج القرية، ولكن يشترط أن يكون من أبناء النوبة. فمن الممكن أن ينتمي لأبناء النوبة من الفاديجا أو العرب، لأن أبناء قرية تنقار هم من أبناء النوبة من الكنوز.

ثانيًا: النظام الشعائري (المُعتقدات الدينية – المُعتقدات السحرية) لدي مجتمع تنقار:

أ- المعتقدات الدينية:

يميل عُلماء الأنثروبولوجيا المحدثون إلي اعتبار الدين والسحر جزء مما يسمونه بالنسق الايدلوجي "**Ideology**" والمقصود بالايدلوجي أنه نسق المعتقدات التي تفسر طبيعة علاقة الانساق بالكون والممارسات والشعائر المتصلة بهذه المعتقدات، فالنسق الإيدلوجي هو إذن نوع من الإستجابة للحاجة التي يشعر بها الناس جميعاً لتحديد معني وجودهم في الحياة (١). ومن هنا كانت الانساق الإيدلوجية تحاول البحث عن تفسير لأصل الانساق داخل الكون وتقريب الحاضر إلي الأفهام ورسم صورة للمستقبل، ويعتبر الدين بالذات أهم مكونات النسق الأيديولوجي، ثم يأتي السحر حيث يلعب دورًا هامًا في الحياة.

يذهب **فريزر** إلي أن الدين يشترط الاعتقاد في الكائنات الروحية أو الآلهة، بينما يتألف السحر من الأعمال والممارسات والشعائر التي تتصل بالكائنات الأخرى. ومهما يكن من أمر الممارسات الدينية والسحرية فهي قبل كل شيء ظواهر اجتماعية يجب دراستها بعلاقتها بالنظم الأخري.

1- Leemin .D . Religion and Sexuality: The Perversion of a Natural Marriage. Journal of Religion and. Health. 2003, Vol, No. 2. pp. 101-103.

يُعتبر الدين من أهم النظم الاجتماعية وأخطرها شأنًا في مبلغ ما يؤديه من وظائف في حياة الفرد، وفي استقرار التنظيم الاجتماعي، فليس ثمة عاطفة إنسانية أبعد غوراً وتأثيراً في مشاعر الفرد والمجتمع من العاطفة الدينية. كما يقصد بالدين المفهوم الاجتماعي الواسع وليس مجرد الديانات المُنزلة، وكانت هذه القواعد فيما مضي القوة الضابطة المسيطرة والتي تسمو فوق القوى الأخري، وتتمثل الجزاءات الدينية في إجراءات طقوسية مُعقدة وانتقام خطير للقوي القدسية والمؤلمة من هؤلاء الذين يبعثون أو يتنكرون للقيم الدينية، وكذلك يلعب الدين دورًا علي درجة عالية من الأهمية في استقرار وتنظيم المجتمع من خلال مجموعة من القواعد التي تنظم العلاقات داخل المجتمع، بل تعمل علي التماسك الاجتماعي، كما تتمثل وظيفة القيم والمعتقدات الدينية في أنها تعمل علي ترسيخ قواعد العدالة والمعاملات علي أسس من التعاون والتكامل الاجتماعي.

ونجد أيضًا أن المرأة في هذه المُجتمعات تكون حريصة علي حفظ ما تستطيع من آيات القرآن الكريم في الكتاتيب التي تتواجد في قريتها أو نجعها أو ولايتها، وحريصة أيضًا علي تجنب المعاصي لقناعتها أن من يتجنب المعاصي يكون مُطمئن البال لقوله تعالي **(ألا بذكر الله تطمئن القلوب)** فهي تعرف أن الذكر هنا ليس المقصود به التسبيح والحمد فقط، ولكنه أيضًا تنفيذ أوامر الله واجتناب نواهيه. وكذلك تكون المرأة حريصة علي تعليم أبنائها تعاليم الإسلام ومساعدتهم علي حفظ آياته وتجنب المعاصي بقدر المُستطاع كما تفعل هي، فأفضل وسيلة لاكتساب الطفل السلوك المراد فعله هو القيام بذلك السلوك ومُراقبته أمام الأبناء. وبالتوازي مع كل ذلك نجد أن هناك كثيرًا من النساء بهذه المُجتمعات تحرصن أيضًا إلي اللجوء للدين عندما تواجها المصائب والصعاب **(مصائب الموت لزوجها أو أبنائها أو أفراد أسرتها الأقربين الأب أو الأم)** حيث أن أفضل طريق من وجهة نظر النساء هو اللجوء إلي الدين حتي يخرجهن من أزمتهن(١).

ونستنتج مما سبق بأن المرأة في تنقار تتفق مع رؤية "**مالينوفسكى**" حينما رأي أن الدين ينشأ في أوقات الأزمات التي تمتاز بشدة الانفعالات وغزارتها كما هو الحال مثلًا وقت الموت، فالدين في رأيه ليس سوي وسيلة أو متنفس يلجأ إليه الإنسان ليخرجه من الأزمات حين تفشل كل الطرق العملية الأخرى (٢).

ومن العادات والتقاليد والطقوس المتوارثة داخل مجتمع قرية تنقار نجد بأن التقرب إلي الأولياء يتم من خلال زيارة مقاماتهم، وذلك للتبرك بهم للقضاء علي الحسد للأبناء أو لأفراد الأسرة أو للبحث عن الإنجاب أو البحث عن الزواج للفتيات التي كبر سنها أو غيرها من الأمور التي تتعلق بالأشخاص.

١- ذكية خليفة. الأشعار والطقوس الجنائزيّة بمنطقة واڤنون. مقارنة أنثروبولوجية وظيفية. رسالة ماجستير في الآدب الشعبي. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعه مولود معمري تيزي وزو. الجزائر. ٢٠١٣.

2- Michael Allapy; Macmillon Dictionary of Environment, London: Macmillon. 1983.

ويحرص أبناء قرية تنقار علي إقامة احتفال سنوي ثابت للشيخ "أرمان" والذى يعد أحد أبناء القرية، ويعتبر من الأولياء لما له من كرامات عديدة، ويتم تنظيم الاحتفال في ٢٠ شعبان من كل عام، ويسبقه الإعداد والتجهيز لإحياء هذه الليلة منذ ١٥ رجب وذلك من خلال الطرق الصوفية بجوار أعرق مسجد بالقرية، وهو مسجد تنقار الذي أقيم منذ عام ١٩٠٢ فترة بناء خزان أسوان، ومع عمليات التعلية التي شهدها الخزان في أعوام ١٩١٢ ، و ١٩٣٣، تم رفع العديد من المنازل، وأيضًا المسجد لأعلي ليظل في موقعه الحالي، ومن المعروف عن الشيخ " أرمان" بأنه توفي في قرية جرجا بمحافظة سوهاج، ويحتفلوا به هناك أيضًا حيث أطلقوا عليه الشيخ غريب، ومن أبرز الروايات عنه بأنه عند تواجده داخل قرية جرجا نزل إلى أحد المقابر، وتوفاه الله هناك.

ويوجد داخل قرية تنقار أيضًا مقام الشيخ عبد الصادق، الموجود بجوار المسجد العريق المواجه لنهر النيل، وعند بناء الخزان، تم رفعه لأعلي ليتواجد في موقعه الحالي، ويقال بأن جثمانه طاهر، ولم يتحلل- علي حد قول الإخباريين من أبناء قرية تنقار.

وأوضح الإخباريين أيضًا بأنه يوجد بالقرية الشيخ عبد الصادق له كرامات كثيرة، وكان النساء يحرصن علي زيارة مقامه للتبرك به، وكانت بركاته تتجلي في القراءة علي الشخص ببعض الآيات القرآنية، وكان قديمًا سيدة من أهالي القرية تقوم بتنظيم ليلة سنوية للاحتفال به.

شكل رقم (١) الباحث بجوار مقام الشيخ عبد الصادق بقرية تنقار النوبية بأسوان

كما أنه توجد هناك العديد من المعتقدات الدينية التي يحرص عليها أبناء مجتمع تنقار، حيث أنهم يتبركون ويزورون الأولياء في مدينة أسوان بشكل عام، مثل زيارة مقامات السيدة زينب والسيد البدوي وغيره. ويوجد هناك شيخ آخر له مقام بسيط بجوار جمعية تنمية المجتمع الرئيسية بقرية تنقار، وهو مقام الشيخ "سيدي الكبير" وهو ينتمي لقبيلة الأشراف، ويتواجد له مقام بالجنينة والشباك بنصر النوبة، وكان قد تم نقل جثمانه في فترة التهجير، ويتم تنظيم احتفال سنوي له في ٢ و ٣ من شهر محرم، ويحرص أبناء القرية على زيارته والتبرك به.

شكل رقم (٢) مقام سيدى الكبير بقرية تنقار النوبية بأسوان

شكل رقم (٣) الباحث مع أحد الإخباريين من أهالي قرية تنقار بأسوان

شكل رقم (٣) الباحث أمام مسجد قرية تنقار التاريخي

وننتقل الآن إلي إلقاء الضوء علي أبرز العادات والتقاليد والطقوس المتوارثة في شهر رمضان المبارك ، فعلي الرغم من مظاهر الحياة الحديثة التي بدأت تتسلل إلي حياة أبناء هذه المُجتمعات، إلا أن هناك بعض الطقوس المتوارثة بها، حيث نجد أن أبناء قرية تنقار مثلًا يعتمدون في استطلاع شهر رمضان علي ما تعلن عنه دار الإفتاء المصرية بتحديد موعد الصيام وموعد الإفطار، ويلتزمون بالرؤية الشرعية التي تقوم بها الأجهزة الرسمية، وبالرغم من أن عاداتهم لا تقل أهمية في رصد هلال رمضان عن الأجهزة الحديثة. فلديهم مقولة قديمة وهي " **أن خامس الصوم صوم** " بمعني أنه إذا صام الإنسان في العام السابق، فإذا كان يوم الصيام هو يوم الأحد، فعليه أن يعد خمسة أيام ليكون الصيام في العام الجديد يوم الخميس – علي سبيل المثال – وعند ثبوت الرؤية تُعلق الزينات في الشوارع وتُرفع الأعلام البيضاء للتعبير عن الفرحة باستقبال الشهر الكريم.

ويحرص العديد من أبناء القرية علي تحقيق الترابط والتلاحم فيما بينهم من خلال التجمع مع بعضهم البعض لتناول وجبة الإفطار الجماعي خلال أيام شهر رمضان، حيث يصطحب كل رجل أطفاله ليعتادوا ذلك، ولا يبقي في المنزل سوي السيدات والفتيات، فيتناول الجميع الأفطار معًا، أما الضيف الوافد إلي القرية، فيكون له اهتمام خاص، حيث تترك له مائدة مستقلة. ويسبق إعداد الإفطار تواجد عدد من الشباب القرية في الطرقات، وعلي الشوارع الرئيسية والداخلية وهم يحملون بعض الوجبات السريعة والمشروبات لإعطائها لأي سائر أو ضال طريق حتي يقوم بالإفطار وكسر صومه من خلال تناول هذه الوجبات والمشروبات.

ويقول العديد من الإخباريين والإخباريات ومنهم " عبد المنعم محمد " من القيادات الطبيعية بقرية تنقار بأنه من عادات شهر رمضان الكريم بأن يتم توقف أي إحتفالات خاصة بالخطبة أو الزواج إلي ما بعد انتهاء الشهر الكريم، وذلك حرصًا علي حرمة الشهر الفضيل، كما لا يقوم أي إنسان أو شخص برفع دعوي قضائية سواء رسمية أو غير رسمية. **وعن عادات الطعام** في هذا الشهر أشار الإخباريين بأن هناك بعض الأفراد يحرصون في رمضان علي إحضار الإفطار ووضعهم للأطباق التي يحضرها علي مائدة كبيرة حتي يتناول الغني طعام الفقير ومحدود الدخل، ويتناول الفقير طعام الغني، وعند آذان المغرب يقومون للصلاة عند توزيع التمر والمياه والعصائر، ثم يقبلون علي المائدة، فيأكل كل فرد من جميع الأطباق الموجودة دون أي تفرقة، ويضيف غالبًا ما يبدأ تجهيز مجلس الإفطار عقب صلاة العصر.

ويتوافد المشاركين في حفل الإفطار الرجال والشباب من أبناء القرية، ويصطحبون معهم الأطفال ليعتادوا علي هذه العادات والتقاليد السائدة، ثم يتم تجهيز الإفطار حتي يحين موعد آذان المغرب، ومُعظم الطعام يكون من اللحوم والدواجن والخضروات والأرز، والأكلات النوبية المميزة من الجاكود " الملوخية " وغيرها من الأكلات الأخري، ولا يأكلون الأسماك في رمضان، ويجلس كل فرد في أقل مساحة ممكنة حتي يكون هناك متسع للآخرين، ويحرص الجميع علي تناول الطعام باليد اليمني .. كما يتناول كل فرد الطعام من الجهة المقابلة له، ولا يتعدي علي باقي الجهات لاحترام أداب الطعام.

ب- المعتقدات السحرية لدي أهالي قرية تنقار:

يري " **أميل دور كايم** " أن الطقوس والشعائر الدينية هي التي تتعلق بالأشياء المقدسة بشرط أن تُمارس تلك الطقوس والشعائر علي المستوي الجماعي، وذلك بعكس الشعائر والطقوس والممارسات الفردية فإنها تدخل في مجال السحر (١). تشير الدراسات المقارنة لبعض المُجتمعات إلي أن هناك ارتباط كبير بين المعتقدات السحرية والمعتقدات الدينية، فكلاهما يعتبر وسيلة للتغلب علي الأحداث الاجتماعية التي تعجز عن حلها الأنماط السلوكية العادية، أن من أهم المصائب التي تواجه المرأة بهذه المُجتمعات بعد زواجها هو اعتقادها بإصابتها بالعُقم أي "**عدم الإنجاب**" فإذا تأخر حمل المرأة من فتيات قرية تنقار عن عام. فإن ذلك يكون مصدر التعاسة لها ولأهلها ويرد دائمًا بأن مصدر العُقم هو المرأة .... أما الرجل فإنه لا يُتهم بالعُقم إطلاقًا، ويرجع عُقم المرأة إلي أسباب يعتقدونها وهي:

الكباس:

وهو في معناه المبسط حسب اعتقادهم هو " **دخول الدم علي الدم** " أو " **دخول الذهب الخام علي الدم** " وتفسير ذلك أن المرأة الحائض إذا دخلت علي عروس في صباح يوم دخلتها فأنها تَكبسها. وكذلك إذا دخلت إمرأة ترتدي حليًا من الذهب الخام علي عروس فأنها تَكبسها أي أنها تكبس عليها، كذلك إذا دخل " **اللحم النيئ** " فإنه يكبس علي العروس، لذلك تحتفظ العروس بالمنديل الأبيض الذي به دماء فض بكارتها في ليلة دخلتها لتستخدمه في التطهير في اليوم التالي للدخول بها.

وهذا في اعتقادهن فيه حماية لها من الكباس والعين الحاسدة خشية إصابتها بعدم الإنجاب، كما أنهن يحتفظون بهذا المنديل الأبيض لأنه في حالة تأخر الحمل يتم " طقه " أي غسله ليتم تحقيق المراد، وتحمل هذه العروس وتلد أطفالًا.

ونستخلص من ذلك بأن كل الدماء التي تنزل علي المرأة بسبب أنوثتها قد تعرضها للكباس، ولذلك فهي تحرص علي نفسها طالما كانت عليها هذه الدماء " **الدورة الشهرية** " وهذا الحرص يشملها ويشمل الأخريات من بنات جنسها (٢).

طرق علاج الكباس " الكبسة ":

يتوقف علاج حالة الكباس علي معرفة سببه فإذا كان سببه " **الذهب الخام** " فأن العروس تقوم بالاستحمام علي الذهب الخام، أما إذا كان سببه " **الدم** " فإن هناك طريقتين لعلاج المرأة العقيمة:

١- هاني أحمد كامل الشريف: الطب الشعبي عند قبيلتي العبابدة والبشارية (دراسة ميدانية في الأنثروبولوجي الثقافية)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٢. ص ,٩٨

٢- عبد الرحيم أبو كريشة. التراث والعولمة. دراسة أنثروبولوجية للتراث الشعبي بريف صعيد مصر. ٢٠٠٠. ص ٧٨-٧٩.

الأول: بأنه إذا كانت تعرف المرأة التي تسببت في كباسها فأنها تأتي بشيء من دم حيضها تستحم عليه أي تضعه بين قدميها وهي تستحم.

الثاني: إذا كانت العروس لا تعرف المرأة التي تسببت في كباسها فأنها تلجأ إلي الاستحمام علي " **دم الضحايا** " وهو الدم الناتج عن نحر الذبائح يوم عيد الأضحى المبارك، ولا يُشترط أن يكون دم الأضحية سائلًا، بل يجزي عنه المكان المبلل بهذه الدماء. ولذلك ليس بغريب أن تجد النساء بهذه المُجتمعات يحتفظن بهذا الدم من العام إلي العام الذي يليه لاستخدامه كعلاج للعاقرات .... ومن معتقداتهم أيضًا:

١- **القرينة:** وهي روح شريرة تعتقد النساء أنها تمنع حملها، والوسيلة الوحيدة للعلاج من ذلك هي أن تقوم المرأة العاقر بأخذ جزء من حافر حمار ميت وتعلقه في رقبتها، فتمنع الروح الشريرة من الوصول إليها، أو أن تقوم بالذهاب إلي أحد المشايخ المشهورين في هذا المجال للقيام بعمل مصالحة بين المرأة وقرينتها.

٢- **الوراثة:** وقد تعتقد المرأة العاقر أن سبب عُقمها راجع إلي وراثة ذلك من أمها أو جدتها، خاصة لو كانتا لم تنجبا إلا عددًا قليلًا من الأبناء.

٣- **عيوب الرحم:** وقد ترجع المرأة بهذه المُجتمعات سبب عُقمها إلي أن الرحم غير صالح للحمل، فلذلك تلجأ إلي الطب الشعبي الذي ينصحها بتدليك البطن والصرة بزيت الزيتون في الصباح الباكر لمدة ثلاثة أيام من أيام دورتها الشهرية.

٤- **النفس:** وهي كلمة في عمومها تُطلق علي " **الحسد** " أما تخصيصها في العُقم، فتعني أن أحد الرجال قد تمني الزواج من هذه المرأة العقيم، ولم يدرك هذه الأمنية، فتعلقت نفسه بها، فلذلك هي عاقر، والخلاص من هذا السبب هو أن تستسمح هذا الرجل إذا كانت لا تعرفه، فعليها الاستحمام ليلًا فوق قبر مهجور لطرد النفس الغريبة المتعلقة بها، وعليها قبل أن تتصرف، أن تترك أواني الاستحمام وشيئًا من ثيابها علي ذلك القبر المهجور.

٥ - أما إذا انعدمت الأسباب السابقة، ولم تجد طرق العلاج فأن العُقم يكون من الله، وعلي المرأة وزوجها أن يزورا قبور ومقامات الأولياء الصالحين، وينحروا الذبائح لوجه الله، وتبركًا بها لعل الله أن يرزقهم الذرية الصالحة

ونستطيع أن نزعم بأن المرأة في تنقار التي لا تنجب تتعرض للكثير من المعاناة النفسية والألم والحزن، حيث يُنظر إليها علي أنها مرتبة أقل من المرأة التي تنجب، أو قد تتعرض للمعايرة والتهكم من نظيراتها بأمر لا دخل لها فيه.

ونجد أيضًا أن أبناء تنقار مثلهم مثل باقي المُجتمعات يعتقدون في " **الحسد والعين** " ويرددون المقولة الشهيرة " العين تفلق الحجر .... "، وأيضاً الاسترشاد بالقرآن الكريم بقوله تعالي في –سورة الفلق –بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)** ".

ولحماية أبنائهم من الحسد فأنه يتم رقيهم بتعليق الخرزة الزرقاء في أعناق الأطفال. اعتقادًا منهم بأنها تنجي من العين، ويتفاءلون بيوم الجمعة، والبعض يتفاءل بفلج السن " **أي وجود فتحة صغيرة في مقدمة الأسنان** " والسفر يوم الإثنين، ويرون في السفر يوم الجمعة أنه يكون تقيل وبه مشقة. ويعتقدون أيضًا بأن الحداد علي الميت فرض واجب علي النساء، ويمتد الحداد من أربعين يومًا إلي سنة كاملة، لا تلبس فيها المرأة الحُلي، أو الثياب الجديدة بل يسود زيهن اللون الأسود للجلباب أو العباءة، ولا تخرجن النساء إلي زيارة أو احتفال " **عُرس** " طوال هذه المدة، ثم يقمن بالاستعانة بأحد المشايخ أو أئمة المساجد للقراءة علي ثياب المتوفي والبعض يقوم بإعطائها لعابر سبيل ليكون ثوابها للميت، والبعض الأخر يحتفظ بهذه الثياب أمد الدهر.

وبتحليل ما سبق نستنتج بأن أبناء قرية تنقار يعتقدون في الحسد والعين الحاسدة، ويلجأون إلي اجتنابه بالرقية الدينية، وكذلك بالاعتقادات السحرية من خلال التمسك بعادة تعليق خرزة زرقاء برقبة الأطفال لحمايتهم من الحسد والحفاظ عليهم، هذا بالإضافة إلي حدادهن علي الميت، وتأثرهن بالدين الإسلامي الحنيف في عدم التزين بالحُلي. فالله سبحانه وتعالي يقول في كتابه العزيز: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾. سورة البقرة: آية ٢٣٤.**

وبينت الدراسة الميدانية أيضًا بأن ظاهرة السحر تشمل كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، الرجال والنساء – الريفيين والحضريين – ويدعم انتشارها علي كافة المستويات، تصور المُعتقد الشعبي بأن السحر مذكور في القرآن، ويجدون في مُعتقدهم هذا تبريرًا كافيًا للجوئهم إلي المشتغلين بالسحر.

ونجد أن أبناء قرية تنقار يعتقدون في الحسد والعين الحاسدة، ويلجأون اجتنابه بالرقية الدينية، وكذلك بالاعتقادات السحرية من خلال التمسك بعادة تعليق خرزة زرقاء برقبة الأطفال لحمايتهم من الحسد والحفاظ عليهم، كما تم ذكره سابقًا في المعتقدات الدينية.

وفى ذلك يذكر **وليم لين** بأن المصريون يزورون الأضرحة إما إجلالًا للميت، وقيامهم بأعمال تستحق الثواب معتقدين أنهم سينزلون عليهم البركات، وأما بقصد التماس الشفاء من مرض أو طلب النسل، مقتنعين أن فضائل الميت تكفل قبول دعواتهم قبولًا مرضيًا حيث أن الأولياء يعتبرون شفعاء للناس عند الله.

وقد ارتبطت بزيارة الأولياء عادة تقديم النذور كنتيجة لجهل الناس بأمور الدين الصحيح، وكنتيجة للاعتقاد بأن أصحاب هذه الأضرحة يملكون النفع والضرر(١). وأسباب زيارة الأولياء تتمثل في أخذ البركة من خلال التبرك بصاحب الضريح لما يتمتع به من منزلة عالية عند الله سبحانه وتعالي.

١– وليم لين. المصريون المحدثون. ترجمة: زهير الشايب. الطبعة الثالثة. ١٩٩٢. ص ١٥٢.

الشكوي من ظلم معين وقع علي الشخص من أحد الأفراد وتتمثل معظم شكاوى الزائرين وخاصة من النساء في الشكوي من الزواج أو الأهل أو الأقارب والجيران. كما تعتبر حالات المرض، وتعذر العلاج وأيضًا حالات الحسد عاملًا ظاهرًا لأسباب اللجوء إلي الأولياء وزيارتهم بهدف الشفاء، ولا شك أن الراحة النفسية وخفة الآلام أثناء وبعد الزيارة تعتبر دافعًا قويًا في معاودة الزيارة ودعوة الأخرين لممارستها.

ومن أهم الدوافع النسائية لزيارة الأولياء تأخر الحمل والرغبة في الإنجاب، خاصة الرغبة في إنجاب طفل ذكر بعد إنجاب عدد من الإناث، ويمثل تأخر زواج البنات أو الفتيات دافعًا قويًا أخر للزيارة، هذا بالإضافة إلي الرغبة في نجاح الأبناء في مراحلهم الدراسية المختلفة.

من دواعي الزيارة للأضرحة والوعد بالنذور هو تعرض بعض الأفراد لبعض الأمور السحرية مثل " العمل " المشاهرة، عمليات الربط التي يتعرض لها المتزوجين حديثاً. كما أن بعض الحالات الفردية تتوجه للأضرحة وزيارة الأولياء من أجل التخلص من الجان، كما ارتبطت زيارة الأولياء في مثل هذه المجتمعات ببعض العادات الاجتماعية والتي من بينها الآتي:

• أصبحت الزيارة لأحد الأولياء وممارسة العديد من الطقوس جزءًا أساسيًا من مراسم الاحتفال بالزواج، ونعلل ذلك بأن زيادة الإقبال علي هذه الظاهرة بهدف أن يكون الزواج مباركًا.

• تعتبر عملية الزيارة للأولياء والطواف حول الضريح، ثم إقامة مراسم الاحتفال شيء ضروري عند البعض بعد الانتهاء من عملية ختان الذكور.

<u>بعض الممارسات داخل الأضرحة والتي يعتقدون أنها تعتبر أثرًا من أثار كرامات الأولياء:</u>

١- قراءة سورة الفاتحة والطواف حول الضريح حيث يمثل ذلك قاسمًا مشتركًا لجميع الأضرحة التي يتوجه المترددين عليها لزيارتها.

٢- تمثل الأدعية سواء بصورة فردية أو جماعية وأحيانًا بصورة جهرية أو سرية، وما يصاحبها من تقبيل المقصورة ومقابضها وملامستها باليدين وعلي جسم الزائر بالتناوب صورًا خاصة بمشاهير الأولياء دون غيرهم.

٣ – توصلت الدراسة بأن هناك بعض الممارسات الخاصة بالزواج حيث يلجأ كل من العروسين لزيارة أحد الأضرحة مرتين متتاليتين: الأولي يوم الحناء (اليوم السابق قبل الزواج) ويذهبا بصحبة أهلهما للزيارة والطواف حول الضريح وتقبيل الحائط الحديدي، مع وضع مبلغ مالي فى صندوق النذور، وذلك لنيل البركة وإضفاء نوع من السعادة علي الحياة الجديدة.

الخاتمة:

أن تأثير النسق الشعائري الذي يضم الممارسات الدينية والسحرية أقل وضوحًا في مجال الضبط الاجتماعي من تأثير النسق السياسي الذي يستند إلي أجهزة وهيئات متخصصة، فالواقع أنه يعتبر مكملًا له ومتكاملًا معه، بل ويؤدي نفس الوظيفة في الحالات التي يخفق فيها النسق السياسي بأجهزته الرسمية وغير الرسمية في إقرار النظام.

فإذا كان نظام المحاكم والرؤساء والوسطاء يفشل في بعض الأحيان في الوصول إلى نتيجة أو حكم نهائي في بعض حالات النزاع نتيجة لعدم توافر الأدلة مثلًا، فأن القوي الغيبية والإعجازية تستطيع أن تصل دائمًا في اعتقاد الناس إلى اكتشاف الشخص المُعتدي، بل وإنزال العقوبة التي يستحقها.

* أن لم يكن هناك ضبط سياسي من خلال القوانين السياسية للدولة وهو ما يُعرف لدي العلوم الإنسانية " أنثروبولوجيا " بأساليب الضبط الرسمية، وكذلك القوانين العُرفية التي يلتزم بها الأشخاص فيما بينهم من نفس القبيلة وداخل النجع أو القرية، وكذا مجموعة المعتقدات الدينية والسحرية والتي تعرف " بأساليب الضبط غير الرسمية " فإنه لا يوجد استقرار ولا يوجد الشعور بالأمن والأمان سواء علي الزوجة والأبناء والأموال والعقارات، وأيضاً المناشط الاقتصادية و ... و ... إلخ.

إذن فإن حدوث خلل في أنساق الضبط الاجتماعي يتبعه ويتأثر بخلل أخر في باقى الأنساق مثل " النسق الاجتماعي والنسق الاقتصادي "، وبالتالي يصبح هناك خلل في البناء الاجتماعي لهذا المجتمع، ومن ثم عدم استقراره علي الإطلاق.

النتائج

١-توصلت الدراسة إلي إبراز المعتقدات الدينية المتعددة والمتنوعة لدي أبناء مجتمع قرية تنقار.

٢- توصلت الدراسة أيضًا إلي إبراز المعتقدات السحرية المتعددة لدي أبناء هذه المجتمعات.

٣- توصلت الدراسة إلي التعرف علي القوانين العرفية الخاصة بأهالي تنقار.

٤- حدد النظام العرفي السائد في مجتمع قرية تنقار أدوارًا محددة لكل من المرأة والرجل متمثلة في الأدوار المخولة لكل منهما، والتي تضمن بقاء المجتمع مستقرًا.

٥- من المعتقدات الدينية البارزة بمجتمع قرية تنقار بأن المرأة تعتمد علي الالتزام بالتعاليم الدينية من خلال تعليم أبنائها حفظ آياته وتجنب المعاصي بقدر المُستطاع كما تفعل هي، وتحرص النساء أيضًا علي اللجوء للدين عندما تواجها المصائب والصعاب (مصائب الموت لزوجها أو أبنائها أو أفراد أسرتها الأقربين الأب أو الأم) حيث أن أفضل طريق من وجهة نظر النساء هو اللجوء إلي الدين حتي يخرجهن من أزمتهن.

٦- من العادات والتقاليد والطقوس الدينية المتوارثة داخل مجتمع قرية تنقار نجد بأن التقرب إلي الأولياء يتم من خلال زيارة مقاماتهم، وذلك للتبرك بهم للقضاء علي الحسد للأبناء أو لأفراد الأسرة أو للبحث عن الإنجاب أو البحث عن الزواج للفتيات التي كبر سنها أو غيرها من الأمور التي تتعلق بالأشخاص.

٧- يهتم أبناء قرية تنقار بإقامة الليالي الدينية للاحتفال بالأولياء، بجانب تنفيذ العديد من الطقوس الدينية خلال شهر رمضان المبارك.

المراجع العربية

١- إيفانز بريتشارد. النسق القرابي لدي قبيلة النوير بالسودان. طبعة لندن. ١٩٤٠.

٢- أحمد أبو زيد. البناء الاجتماعي. الانساق. البناء الاجتماعي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الإسكندرية. ١٩٦٧.

٣- ثروت محمد شلبي. المرأة الإفريقية. دراسة أنثروبولوجية اجتماعية مقارنة للمرأة في الطواريق. الزولو. جامعة القاهرة. معهد البحوث والدراسات الإفريقية. قسم الأنثروبولوجيا. ١٩٧٩.

٤- أحمد أبو زيد. البناء الاجتماعي. الانساق. ط ٧. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الإسكندرية. ١٩٨٠.

٦- وليم لين. المصريون المحدثون. ترجمة: زهير الشايب. الطبعة الثالثة. ١٩٩٢.

٧- سلوي يوسف درويش. المرأة عند الباجندا بجمهورية أوغندا. رسالة ماجستير. معهد البحوث والدراسات الإفريقية. جامعة القاهرة. ١٩٩٣.

٨- الموسوعة الإفريقية. المجلد الرابع. الأنثروبولوجيا. الجزء الثاني. العلاقات القرابية في أفريقيا. مايو. ١٩٩٧.

٩- عبد الرحيم أبو كريشة. التراث والعولمة. دراسة أنثروبولوجية للتراث الشعبي بريف صعيد مصر. ٢٠٠٠.

١٠- محمد أحمد غنيم. العادات والتقاليد في دلتا مصر. دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. ٢٠٠٥.

١١- محمد أحمد غنيم. الضبط الاجتماع والقانون العرفي. دراسة في الانثروبولوجيا الاجتماعية. دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. ٢٠٠٩.

١٢- ذكية خليفة. الأشعار والطقوس الجنائزيّة بمنطقة واڤنون. مقارنة أنثروبولوجية وظيفية. رسالة ماجستير في الآدب الشعبي. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعه مولود معمري تيزي وزو. الجزائر. ٢٠١٣.

١٣- هاني أحمد كامل الشريف: الطب الشعبي عند قبيلتي العبابدة والبشارية (دراسة ميدانية في الأنثروبولوجي الثقافية)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٢.

المراجع الأجنبية

1- Michael Allapy; Macmillon Dictionary of Environment, London: Macmillon. 1983.

2- Leemin .D . Religion and Sexuality: The Perversion of a Natural Marriage. Journal of Religion and. Health. 2003.

3-Russel Bernard. 2006. Research methods in Anthropology. New York

4- Ellen. R.F(ed). 1984 . Ethnographic research- aguide to general conuch. Academic press (Harcourt Brace Jovanvich Publishes) London. M. PP. 323-324.

الإخباريون

١- الشيخ / محمد عبد العزيز

٢- السيد / عبد المنعم أحمد مرغني

٣- السيد / تاج الصادق

٤- السيدة / أسماء أحمد مرغني

٥- السيدة / زيزي صادق

٦- السيد / شريف عبد المنعم

شكل رقم (١) خريطة توضيحية لموقع قرية تنقار بأسوان

شكل رقم (٢) خريطة توضيحية عبر "GOGLE EARTH " لموقع قرية تنقار بأسوان

١- مركز التحول الرقمى ونظم المعلومات الجغرافية. محافظة أسوان. ٢٠٢١.